« الحزب الشيوعي » ازاء القضية الوطنية . ففي عام ١٩٤٥ ناضل ممثلو « مؤتمر العمال العرب » في مؤتمر نقابات العمال العالمي المنعقد في باريس ضد الصهيونية وكشفوا طابعها الفاشي العدواني ، شأنهم في النضال ضد الصهيونية وضد مطامعها في فلسطين . غير اننا نلاحظ ان مخلص عمرو وبولس فرح وآخرين خرجوا عن ارادة الحزب عام ١٩٤٧ وقدموا شهاداتهم امام لجنة الامم المتحدة التي قدمت الى فلسطين آنذاك . واخيرا فان مؤتمر العمال العرب اتخذ في نفس العام موقفا ايجابيا من قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة مشايعا لاحد جناحي الحزب الشيوعي « عصبة التحرر الوطني » .

٣ ــ كدلالة عامة لتطور الطبقة العاملة الفلسطينية ، فان من الممكن ان نلاحظ جملة من المعيقات التي حالت لان تصبح « طبقة بنفسها ولنفسها » . فهي وان كانت قطاعات واسعة منها قد تحررت من الثقافة والتقاليد الحرفية ، كما هو الحال في قطاع الصناعة الحديثة وقطاعات الدولة والحرب والمشاريع العامة ، هذا التحرر المتمثل في الاستقلال عن رب العمل وعن التماس اليومي به ، ووعيهم لهذا الاستقلال ونضالهم من اجل اصلاحات وتحسين اوضاعهم وشروط استخدامهم ، فقد توصلوا الى طور أولي من اليقظة والوعي الطبقي لمصالحهم المباشرة بأفق يومهم . واسهمت التناقضات القومية والوطنية والنضال ضد الامبريالية ، في تسعير مشاعر الحقد على القيادات الوجاهية والتقليدية وتلمسوا بشكل أولي ضلوع هذه القيادات في العمالة للامبريالية وعجزها لهذا السبب ولغيره في قيادة النضال ضد الصهيونية والهجرة اليهودية وضد الامبريالية . غير ان هذا الطور من الوعي لم يكن ناضجا كفاية لكي يأخذ مداه بفعل اعتبارات موضوعية وذاتية ، فالحزب الشيوعي الفلسطيني بسبب نشأته اليهودية ، ومواقفه الغامضة حينا وغير الوطنية حينا آخر ، وقلة جماهيرية الحزب العربية بفعل ذات النشأة وذات المواقف قد حدّت ، بل قد شوهت ، امكانية تبوء الحزب الشيوعي بمكانة قيادية في النضال الجماهيري الوطني وفي ترسيخ نفسه كمنظمة نضالية عمالية ــ كادحة تستحوذ على تأييد وثقة الطبقة العاملة في فلسطين . وما من شك ان اعتبارات اخرى ، مثل عداء الاحزاب التقليدية للشيوعية ، وهيمنتها على مراكز التأثير على الجماهير ، والمزايدات والشوفينية ــ غير الوطنية في نهاية التحليل ــ وخضوع العمال لأوهام القيادات العمالية الاصلاحية قد افقدت الحزب الشيوعي قدرته على الاضطلاع بدور جماهيري فعال . وليس مجرد مصادفة ، ان تزداد أهمية وحيوية الحزب الجماهيرية ، عشية تبنيه لسياسة وطنية ــ أممية وانعكاس هذه السياسة في مواقف الشيوعيين العملية والنظرية من التطورات الجارية منذ اوائل الثلاثينات ونضاله الفعال ضد الصهيونية .

---

١ ــ وضعت هذه المقالة ، بمثابة تقديم لدراسة أوضاع الطبقة العاملة في الاردن ، لكون الاخيرة امتداد للطبقة العاملة في فلسطين من عدة جوانب . وتهدف المقالة الى تحديد الملامح الاساسية لنشوئها ولطبيعة تطورها ضمن الشروط التاريخية المحددة لتلك الحقبة .

٢ ــ بدران ، نبيل : **التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني** ، مركز الابحاث (١٩٦٩) ص ٥٠ .

٣ ــ راجع : حمادة، سعيد : **النظام الاقتصادي في فلسطين** . (بيروت ١٩٣٩) ، الفصل الرابع (الزراعة) بقلم : مونتاغيو براون، ص ١٣٧ .

٤ ــ في اواخر عام ١٩٣٤ كان نحو ٥٦٪ من المساحة المزروعة اشجارا حمضية بيد اليهود ٤٤٪ بيد العرب ، راجع **المصدر السابق** . نفس الفصل ، ص ١٧٣ و ١٨٠ . كذلك راجع : علوش ، ناجي : **المقاومة العربية في فلسطين** (١٩١٧ ــ ١٩٤٨) (دار الطليعة ١٩٧٠ بيروت) ص ١٦ .

٥ ــ حمادة ، سعيد : **المصدر السابق** ، الفصل المشار اليه سالفا . هامش ص ١٣٧ .

٦ ــ **المصدر السابق** ، ص ٢٦٧ .